نحن والسلفية

رئيس التحرير

□ «السلفية» كما يتضح من مدلولها اللغوي عودة الى ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة المتقين والتابعين لهم باحسان، ورفض كل البدع التي استحدثت على مرّ العصور في الدين.

إنها إذن الالتزام بالدين من مصادره النقيّة الصافية والابتعاد عن كل ما طرأ عليه من شوائب غريبة عليه.

ولايصحّ إسلام مسلم ما لم يؤمن بمثل هذه السلفية، بل ويمكن أن تكون هذه السلفية معيارا لمدى صحة واستقامة وسلامة كل دعوة وحركة ونهضة ترفع

شعار الاسلام.

ليس ايماننا بهذا يقوم على أساس تقرير القرآن فحسب، بل إن الواقع العالمي المشهود يقدّم لنا بالارقام الهائلة مدى فداحة الخسارة التي منيت بها البشرية جرّاء ابتعادها عن منهج دين الفطرة.

بهذا المنطق القويم يجب أن نعلن للبشرية باننا سلفيون، وأن لاسبيل الى التخلص من المآزق والمآسي القائمة الاّ بترك كل بدع الانحراف عن منهج هذا الدين.

هذه العودة في الواقع لاتعني إدارة عقارب الزمن الى الوراء، بل تعني الانفتاح على حقيقة قائمة حيّة من حقائق الوجود، وهي حقيقة ثبات متطلبات الفطرة الانسانية.. والاسلام دين الفطرة، وكل خروج عن هذه الفطرة إنما هو خروج عن حقيقة قائمة في النفس الانسانية، وكل إهمال لهذه الفطرة إنما هو إهمال لحسابات دقيقة ركبت منها نفس الكائن البشري كما ركبت أجهزته العصبية والدموية والهضمية..

سنن التشريع إذن مثل سنن الكون الثابتة، وكل ابتداع في هذه السنن إنما هو سباحة خلاف الاتجاه الطبيعي لتيار الماء فيه «الضنك» و «الارهاق» و «النكد» و «سوء العذاب».

أردنا بهذه المقدمة أن نفرّق بين المعنى الحقيقي المفهوم من كلمة السلفية وهذا المعنى الاصطلاحي الذي يطلق على تيار من أبناء العالم الاسلامي.

تميّز هذاالتيار بقراءة جامدة لنصوص الدين تنأى عن التعقّل والاجتهاد، ولذلك ابتلي بسطحية شديدة، كما اتجه الى رفض كل الجهود العلمية الجبارة التي أثمرت عنها دوحة الاسلام على مرّ العصور بحجّة أن السلف الصالح لم يشتغلوا بها، وهذا مايركّز السطحية والسذاجة أيضا في فهم الدين والدعوة اليه.

ثم إن هـذه الطريقة في فهم الاسـلام انسحبت على قـراءة احداث الماضي والحـاضـر والمستقبل. فقـد انشدّت نظرة السلفيين بالماضي، وبقيت في الماضي، ورأت أن الرسـالة الخاتمة طـوت عصـرهـا الذهبي في قرنها الاول، ثم انحدرت، وليس بالامكان أفضل مما كان!!

وبـالنسبة للحـاضـر ليس هنـاك اهتمـام بينهم على المستوى المطلوب بما يحيط الاسـلام من تحديـات فكرية وحضـارية، وعدم الاهتمام هذا يتجلى في لغة خطابهم ومحتـواه، فانهـا لم ترتفع الى مستـوى هـذه التحديات، ولم تدخل ساحة الفكـر العالمي المعاصر لتقول كلمة الاسلام فيها، كما يتجلى أيضا في عدم السعي لتقديم المشـروع الاسـلامي المتكامل للحياة المعاصرة، وأكثر من كل ذلك يتجلى في الانشغال بالخلافات الفقهية الصغيرة أو بالخلافات التاريخية المذهبية الموروثة ممـا يـدلّ بوضـوح على عـدم استيعـاب لمسؤوليات الرسالة الالهية الخاتمة على الساحة العالمية الراهنة.

وإذا كان الحاضر مهملا في اهتمامات هؤلاء الاخوة فالمستقبل يكاد يكون ملغيـا. وأودّ أن أُنصف إخـوانـنـا السلفيين وأقـول إن عـدم الاهتمـام بمستقبل الاسـلام لايقتصـر على التيـار السلفي بل إن عـامة الاسـلاميين مبتلـون به بدرجة وأخـرى. لم نسمع بمؤتمـر يستشـرف مستقبل الاسلام والعالم الاسلامي. وقلّ أن نجد مفكرا اسلاميا يتعرّض لهذه القضية.

مجمـوع الخصـائص المـذكـورة للتيار السلفي جعلته في كثير من الاحيان يقف موقفا معارضا لدعاة «التقريب».

منطق دعـاة التقريب يتجه الى التعالي على الخلافات الفقهية الصغيرة وعدم الخوض في النزاعات التاريخية الموروثة والاهتمام بما تتطلبه الرسالة الخاتمة على الصعيد العالمي، وهو منطق لاينسجم مع التوجه السلفي العاكف على قراءة جامدة

لنصوص الدين.

وهنا لابد من التأكيد على أن الطيف السلفي يضمّ فصائل ارتفع بعضها الى مستوى المسؤولية فكان من دعاة التقريب بين المذاهب الاسلامية ومن دعاة الوحدة بين جميع المسلمين.. ولكن العقدين الاخيرين شهدا أيضا مع الاسف مواقف سلفية تتعارض تماما مع توجّه التقريب.. بل شاهدنا من يستغلّ هذه المواقف لمصلحة سياسية تستهدف تفريق المسلمين.

ما أردنا بهذه السطور أن نقرع آذان إخواننا السلفيين باللوم، بل أن نتوجّه إليهم بالدعوة الى حوار بناء يشتمل على تفهم أبعاد الرسالة الخاتمة ومسؤوليات الانسان المسلم الراهنة لنخرج منه بأسس عملية للتعاون فيما اتفقنا عليه وهو في اعتقادنا كثير، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه، وهو بالنسبة للمشتركات قليل.. وعلى الله قصد السبيل.